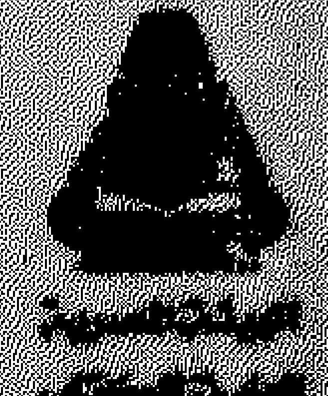
روائع الأدب العالمي للأطفال

مكتبة الأسرة 2002

مهرجان القراءة للجميع 2002

آرثر ميلر / ترجمة وتقديم: عبد التواب يوسف

١ـ القط والسباك
٢ـ تمثال الحرية



- القط والسباك
- وتمثال الحرية

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى : القط والسباك

التقنية : خامات مختلفة على ورق

المقاس : ٢٠ × ٣٥ سم

محمود الهندى:

فنان تشكيلى ومصمم جرافيكى. أشرف على، وأخرج العديد من المجلات، القاهرة، اليسار، المسرح، تياترو. يقيم معارضة التشكيلية داخل صفحات الكتب، قافية بين امرئ القيس وبينى، ذكر مقتل الحلاج، الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى، ابن عروس، واللوحة المنشورة رسمت خصيصاً للكتاب.

- القط والسباك
- وتمثال الحرية

آرثر ميللر
ترجمة وتقديم: عبد التواب يوسف



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمى للأطفال)

(بيضة الديك)

القط والسباك وتمثال الحرية

آرثر ميللر

ترجمة وتقديم: عبدالتواب يوسف

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

الفنان : صبرى عبدالواحد

المشرف العام :

د . سمير سرحـــــان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشـــباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١٠٢٨3

I.S.B.N 977-01-7831-4

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

روائع
الأدب العالمى للأطفال

بيضة الديك

تعرفون أن الدجاجة هى التى تضع البيض غير أن البعض يقولون إن الديك يضع بيضة واحدة خلال حياته، لذلك هى نادرة؛ ويضربون بها المثل فى الشئ الذى يقع مرة واحدة فى دنيانا.. كما أنهم يتحدثون بذلك عن كتاب الكبار الذى يحدث أن يكتب أحدهم قصة للأطفال، وهم غالباً ما يفعلون ذلك فى مناسبة أعياد الميلاد ورأس السنة هدية للصغار فى هذه المناسبة..

من هنا أتخذت هذه السلسلة عنوانها...

- الدوس هيكسلى	الغربان
- جيمس جويس	القط والشيطان
- صامويل جونسون	النافورة
- تولستوى	الجرح
- طاغور	الطفل
- آرثر ميللر	القط والسباك وتمثال الحرية

مقدمة قصيرة:

- ١ -

آرثر ميلر، كاتب مسرحى كبير، يعتبر من أهم المؤلفين الأمريكيين.. ولد عام ١٩١٥، وهذا يعنى أنه يبلغ ما يزيد على ٨٧ عامًا، الآن! وهو طويل القامة، وهو أيضًا طويل القامة فى الكتابة.. سألوه مرة:

كيف تكتب أعمالك؟

ضحك، وقال: عندما أجد موضوعًا مناسبًا، أفكر فيه طويلاً جداً.. أحيانًا لمدة تزيد على سنتين، ثم أبدأ فى كتابته كمسرحية على الآلة الكاتبة، وقد يدهشكم أنى أكتب وأنا واقف، وعلى لفافات من الأوراق، تتدلى أثناء الكتابة، وعندما تلمس قدمىّ أكف عن العمل.. ويذهلكم أن تعرفوا أنى أكتب المسرحية فى ١٢٠٠ صفحة، وأنا أسترسل وأستطرد فى الكتابة، وأضع على الورق ما يخطر على بالى، وعندما انتهى من العمل أقرأه مرتين، ثم ألقى به فى نيران المدفأة.. ثم أذهب فى أجازة لمدة شهر، بعدها أعود لأكتب المسرحية فيما لا يزيد على ١٢٠ صفحة.. طبعًا، هى التى توضع على خشبة المسرح، وعندما أنشرها فى كتاب.. وربما يظنون أنى أفقد

الكثير بحرقها والاكتفاء بما لا يزيد على عشرة بالمائة مما كتبت فى البداية، لكن ما يسقط منها عندى، لا يمكن أن يبقى لدى المشاهد أو القارئ، إننى أجعلها مكثفة ومركزة وعميقة..

- ٢ -

وربما رأيتم على الشاشة الصغيرة بعض أعماله التى أخرجت للسينما بنجاح كبير.. ولا شك أنكم ستلتقون به فى كتبه وأعماله ومسرحياته عندما تكبرون لأن أعماله رائعة، وتستحق القراءة.. ويطيب لنا أن نقدم لكم قائمة بأهم ما كتبه آرثر ميلر:

الكل أبنائى (عام ١٩٤٧). منظر من الجسر (١٩٥٥). وفاة بائع متجول (١٩٤٩) البوتقة (١٩٥٣)..

فترة للتوافق (١٩٦١). حادث فى فيتى ١٩٦٤.. الثمن (١٩٦٨)، الساعة الأمريكية (١٩٨٠).

وقد كتب ميلر رواية (البنورة) عام ١٩٤٥، ومقالات آرثر ميلر للمسرح (١٩٧٨) كما كتب سيرته الذاتية فى منعطفات الحياة (١٩٨٧).

- ٣ -

تزوج آرثر ميلر من الفنانة الشهيرة مارلين مونرو، وكان لزواجه منها عام ١٩٦١ ضجة كبيرة، واستمر هذا الزواج خمس سنوات، لم ينجبا خلالها أطفالاً.. وبعد طلاقهما كتب مسرحية «بعد السقوط» عام ١٩٦٤ عن علاقته بالفنانة الشهيرة وكثيرون يرون أن

مسرحية. «وفاة بائع متجول» هى أهم أعماله، وهى تحكى عن رجل أعمال جعل كل همه كسب المال والشهرة، وانهمك طيلة حياته فى ذلك، وعندما حلت لحظة موته قال لابنه:

. لقد عملت لأجمع لك ثروة طائلة حتى لا تعانى الفقر الذى عانيته أنا!

رد الابن: لم أكن بحاجة إلى المال قدر حاجتى لأن تكون لى أبا صالحًا!!

وفازت هذه المسرحية بجائزة بوليتز، أهم الجوائز الأدبية فى أمريكا.. وقد عالج فى مسرحية الكل أبنائى قصة رجل أعمال، يقوم بصناعة طائرات حربية باعها للجيش، وهو يعرف أن بها عيبًا، يتسبب فى سقوطها، وإذا بواحدة منها تسقط وعليها ابنه، ويلقى مصرعه.

ـ ٤ ـ

والقصتان التى نقدمهما هنا من أجمل كتابات ميلر: للإذاعة.. وقدمهما فى صورة تمثيليتين فى بداية أعماله وكتاباته، وسوف تجدون فى الأولى قطاً يتكلم، وستجدون فيها متعة كبيرة.. كما أن تمثيلية تمثال الحرية ذروة من ذرى الأدب الأمريكى الرائع..

القط والسباك

تأخر الوقت، ومضت ساعات طويلة من الليل، وجورج يجلس فى ضيق وملل، ينتظر زوجته، والنوم يداعب عينيه، وهو يغالبه بمداعبة القط بوسى.. ثم وصلت أديل، وعاتبها جورج على بقائها حتى هذه الساعة المتأخرة خارج البيت، وكان النعاس يتسلل إلى جفونه، فلم يستطع القيام من مكانه ليغلق الباب بالمفتاح كعادته، فتركه مفتوحًا، وانتهت اديل

من انتزاع ملابسها، وارتدت قميص النوم، واندسا فى الفراش، وكادت أنفاسهما تنتظم، وسلطان النوم يسيطر عليهما، وفجأة ارتفع صوت هامس ينادى جورج.. وكذب جورج سمعه، وسأل زوجته إن كانت قد سمعت أحداً يناديه، فقالت له أنه يحلم، وأنها لم تسمع شيئاً.. وعاد الصوت يناديه من جديد، وسمعاه جليًا، واضحًا، يتردد فى جنبات الغرفة نفسها، فارتجفا، وأضىء النور، وتلفتا حولهما فلم يجداً أحداً، وقام جورج يفتش هنا وهناك، غير أنه فشل فى العثور على صاحب الصوت، الذى عاد يتحدث، كأنما هو رجل خفى.. وتوترت أعصاب جورج وزوجته، وسادهما الذهول والدهشة، حين قدم إليهما المتحدث نفسه قائلاً...

. إننى مستر توم توماس...

قال جورج: أهلاً وسهلاً.. هل لك أن تتفضل فتقترب منا يا مستر توماس..

قام القط من مكانه، واقترب من جورج، وهو يهز ذيله، وفزع جورج، وصرخت زوجته..

. إنه القط بوسى الذى يتكلم..

قال القط: نعم إنه أنا.. والآن سيطرا على أعصابكما.. والتزما الهدوء فسألته الزوجة: ولكن.. أنك غريب.. كيف تتكلم؟.. هل يمكن للقط أن يتحدث مثل الآدميين؟

. بل ويتحدث خيرًا مما يتحدثون.. لقد ربيتمانى وأنا بعد قط صغير.. ومنذ وقت بعيد اكتشفت فى نفسى ميزات لا يتمتع بها قط آخر.. ففى سن

التاسعة.. تسعة شهور طبعًا.. كنت أستطيع فى مهارة بالغة أن أتصيد الفئران.. وكانت لى فى ذلك الحين هواية: أن أرقب الناس يتحدثون، وينطقون.. وتمكنت بعد جهد جهيد أن أقلدهم، ورحت أحرك شفتى، ولسانى، حتى تمكنت من ممارسة الكلام، مثلكم بنى البشر..

قلت دهشة جورج وزوجته، وتملكهما حب الاستطلاع، فما هو أمر عادى ذلك الذى يواجهانه.. وسأله جورج:

- وماذا تريد يا مستر توم توماس؟

قال القط: أريد أن تساعدنى لكى أنفذ مشروعى الجليل.. لقد وضعت مشروعًا أهدف منه إلى رعاية صالح المواطنين فى هذه البقعة من الولايات

المتحدة الأمريكية.. وأنتما تريان أن لى ميزة أتمتع بها وحدى بين القطط فأنا أحسن التحدث، وأجيد الكلام.. بل قد يذهلكما أن تعلما أننى أستطيع أن أقرأ كذلك.. وهكذا تريان أنى مواطن صالح.. ومن حقى أن أنفذ مشاريعى..

. وما هى مشاريعك هذه؟

. أريد أن أصبح عمدة للمدينة..

هتف جورج وزوجته فى صوت واحد كله دهشة وذهول: عمدة؟..

. نعم لم لا؟.. لم لا يصبح مستر توم توماس عمدة؟.. ماذا ينقصنى لأصبح عمدة؟.. لقد وضعت هذا المشروع ولابد من تنفيذه.. ورتبت أمورى لكى يتم كل شىء فى هدوء.. وليس هناك ما أحتاج إليه إلا أن أختار لنفسى سكرتيرا...

قـال جـورج ضـاحكاً: أظنك أول قط سـيكون له سكرتير؟

- نعم.. وستكون أنت يا جورج أول سكرتير لقط..

- لا لا.. إنا لن أقبل هذا لنفسى أبداً.. أنا سكرتير لقط؟..

- نعم.. سـتكون سكرتيـراً لى، وإذا مـا حـاولت أن ترفض فسوف تضطرنى إلى أن أخبر زوجتك بكل ما كان يدور فى هذا المنزل أثناء سفرها لى شيكاغو فى العام الماضى..

وهنا تدخلت الزوجة ترجو القط أن يسرد على مسامعها هذا الذى خفى عليها، ولكن جورج غطى على سؤالها، وتوسل إلى القط ألا يفتح فمه بكلمة، وإنه سيقبل بكل سرور ذلك المنصب الذى عرض

عليه، ويريد أن يعرف فى التو والساعة اختصاصاته ومـهـمـاته، وأنه سيكون سـعـيداً بأداء هذا الواجب الوطنى الكبير، الذى سيتيح للقط أن يحتل منصب العـمـودية عن جـدارة وكفـاءة.. وطلب إلى القط أن يشرح له برنامجه ومشروعه.. فقال القط...

.آنك تعلم ولا شك يا جورج أن كل عائلة أمريكية تحتفظ لنفسها بقط.. وقد استطعت أن أجمع من حولى هذه القطط.. وهى الآن تقـدم إلىّ تقـارير يومية منذ عدة شهور.. وهى تقارير خاصة عما يدور فى هذه البيوت.. ما يفـعله الأزواج فى غـيـبـة الزوجات.. وما تفعله الزوجات فى غيبة الأزواج.. بل وما يفعله الزوجان سويًا.. أسرار خاصة، ومعلومات خطيرة، لدى منها ما يكفى لأن يجعل جميع سكان

هذه المدينة تحت إمـرتى، ورهن إشـارتى، وإلا فـإن خطرًا شديدًا سيتهدد مستقبلهم إذا ما نشرت على الناس الأسرار التى تلتقطها عيونى «القطط» التى تنبث فى الدور، وتلحظ وتسجل ما يدور فيها..

قال جورج: ولكنك بهذه الطريقة تريد أن تصل إلى منصب العمدة بالوعيد والتهديد؟..

قال القط: هذه هى السياسة بعينها.. اذكر لى مشروعًا سياسيًا واحدًا ليس قوامه التهديد والوعيد؟ اذكر لى سياسيًا واحدًا نجح دون تهديد أو وعيد؟.. دعك من هذه المثل التى لا تعيش إلا فى خيالاتك، واحضر لى دفترًا، وسجل فيه أسماء وعناوين سكان المدينة، ولسوف أمليك ما لدى من فضائح عن حياتهم.. وستستفيد شخصيًا بالإطلاع على أكبر قدر من فضائح مدينتكم العامرة..

. لن تكون هناك فضيحة أكبر من انتخابك عمدة..

. بل هذه وحدها هى التى ستمحو فضائحها.. أسرع، فما بقى على الانتخاب سوى أسبوعان.. وسأتركك الآن لكى أبدأ أول جهد فى معركتى الانتخابية.. سأزور العمدة القديم مستر جونسون..

. هل أصبح «قديمًا» منذ الآن؟

. نعم.. بل منذ اللحظة التى فكرت فيها فى خوض هذه المعركة ومنافسته..

غادر القط بوسى غرفة نوم جورج، وانطلق مسرعًا إلى بيت مستر جونسون العمدة، بعد أن عين لنفسه سكرتيرًا نشيطًا يستطيع أن يركن إليه.. وتسلل القط إلى مكتب العمدة، وكان جالسًا إليه يحسب،

ويكتب، ويشطب.. وقفز القط على المكتب وهمس قائلاً...

. أما كفاك تزويراً يا حضرة العمدة؟..

صعق العمدة، وألقى بالقلم على المكتب، وانتفض واقفاً، ولكن القط هدأ من روعه وسكن من فزعه، وطلب إليه أن يجلس في هدوء.

لكى يتفاهما، فليس هناك بينهما خلاف كبير فى وجهات النظر.. وجلس العمدة زائغ البصر ومشتت البال، وتابع القط قوله...

. استمع إلىّ يا حضرة العمدة.. أنا قط.. أعلم ذلك ولكن اسمى هو مستر توم توماس.. وأريد أن نتفق وإلا اضطررت إلى أن أقوم بزيارة لقسم مكافحة التهرب من الضرائب لأبلغهم وسائلك

الشيطانية وحيلك الجهنمية فى التهرب من دفع الضريبة، وفى التهرب من قسم مكافحة التهرب.. وقد قرأت خطاباتك خلال الشهور الأخيرة، واطلعت على حساباتك، وجاءتنى تقارير خاصة عنك من مندوبى فى بيتكم.. هو قط كذلك مطلع على أسراركم، عليم بها.. وأستطيع من هذه التقارير أن أحسب لك المرة التى تستحق أن تسجنها.. أنها تتجاوز الستمائة عام.. افتح خزائن أوراقك...

وبيد مرتجفة فتح العمدة خزانة أوراقه وهو يتساءل ماذا يريد منها القط، وفجأة انقض القط على هذه الأوراق، وانتزعها، وأخفاها وراء ذيله، وهو يقول...

. لن تعود إليك هذه الأوراق حتى تساعدنى فيما أريد...

ـ أعدك بالمساعدة.. ما هذا الذى تريده؟

ـ أريد أن أصبح عمدة للمدينة..

ـ عمدة للمدينة؟.. هذا مذهل.. أتريد من الناس أن ينتخبوا عنهم قطاً ليكون عمدة؟.. أهذا معقول؟..

ـ إنهم لن ينتخبوا قطاً.. بل سيختارون اسماً.. هو المرشح توم توماس.. الأمين النزيه.. ابن المدينة البار الحر.. المصلح.. ذلك ما ستقوله الصحف وكافة الصحفيين تحت إمرتى...

ـ أتحفظ لديك بأسرار لهم؟

ـ أنهم هم حملة الأسرار، وناشروها،... وقد جاء اليوم الذى يرد لهم الكيل.. وسوف آمرهم ألا ينشروا صورتى.. صورة توم توماس.. لأنى رجل لا أحب

الدعاية لنفسى، وسيقول الناس: هذا أول أمريكى يكره الدعاية لنفسه... وأرد أنا قائلاً: إن عملى خير دعاية لى... وتكتب هذه الحكمة، ومن تحتها توقيعى...

وشعر مستر جونسون، عمدة مدينة بللينجتون، أنه قد أصبح مغلوباً على أمره، وإن مؤهلات مستر توم توماس وكفاءته سوف تجعله يفوز عليه فى الانتخابات، ولكنه اضطر لأن يخوض المعركة ضده كأى ديمقراطى حر..

وأجريت الانتخابات، وفى ساعة متأخرة من يوم إجرائها ومن جرس التليفون فى منزل جورج وكان المتحدث هو مستر جونسون العمدة القديم.. كان يرغب فى التحدث إلى مستر توماس العمدة الجديد

الذى فاز بأغلبية ساحقة فى الانتخابات.. ويحمل جورج سماعة التليفون ليضعها على أذن القط، وفمه.. ويبتسم القط وهو يسمع النبأ السار ولكن مفاجأة طريفة كانت تنتظره.. أن الناخبين يريدون أن يروه ليقدموا إليه التهنئة.. بأنفسهم.. ويمضى القط إلى دار العمودية، ويتسلل من وسط الجموع المحتشدة التى تريد أن تراه، ويدلف من الباب فى سكون بعد أن ألقى بنظرة على المحتشدين، ولم يعره أحد انتباهًا، فقد كانوا جميعًا فى انتظار العمدة الجديد.. الذى انتخبوه.. وكان على رأس الواقفين مستر بلنجز.. وقد استدعاه جورج من بين الواقفين ليقابل العمدة.. ودخل بلنجز مزهوا، وأغلق من خلفه الباب، وانحنى فى احترام وتقدير للجالس إلى المكتب دون أن يرفع إليه بصره، ثم تقدم فى أدب

واحترام، ونظر بطرف عينيه إلى العمدة الجديد، فإذا به يفاجأ بالقط يقول له..

- مرحبًا مستر بلنجز.. تفضل بالجلوس..

وفزع بلنجز، وارتجف، ثم سقط مغشيًا عليه، وسارعوا لإسعافه، وما أن أفاق حتى طلب القط أن ينفرد به لحظات.. وراح خلالها يسرد على مسامعه ما يعرف من أسراره الخاصة، مما أزهل بلنجز، وجعله ذليلاً خاضعًا للعمدة الجديد، وسأله في أدب..

- هل من أوامر يرغب مستر توماس في إصدارها.. إنني طوع أمره.. إذا ما احتفظ بهذه الأسرار لنفسه..

قال القط: أنت رئيس هذه الجموع التي تقف في

الخارج تريد أن تراني.. أخرج إليها وقل لها إنك قابلت العمدة الجديد، وإن أعباء العمل ثقيلة، وإن وقته ضيق.. ويريد أن يكرسه كله لصالح المدينة وأهلها.. وإنه أجدر بهم أن يتركوه فى هدوء، وأن يتركوا مستقبلهم أمانة فى عنقه...

ويخرج بلنجز إلى الجموع، ويخطب فيها قائلاً إنه قابله العمدة، وهو رجل رائع حقاً، مخلص صدقاً، غارق إلى أذنيه فى العمل، ولا يجد دقيقة يضيعها فى لقاء المهنيين ، وأنه يشركرهم، ويأسف لأنه لا يمكنه أن يستقبل أحداً..

وينصرف الناس هاتفين مهللين للعمدة الجديد..

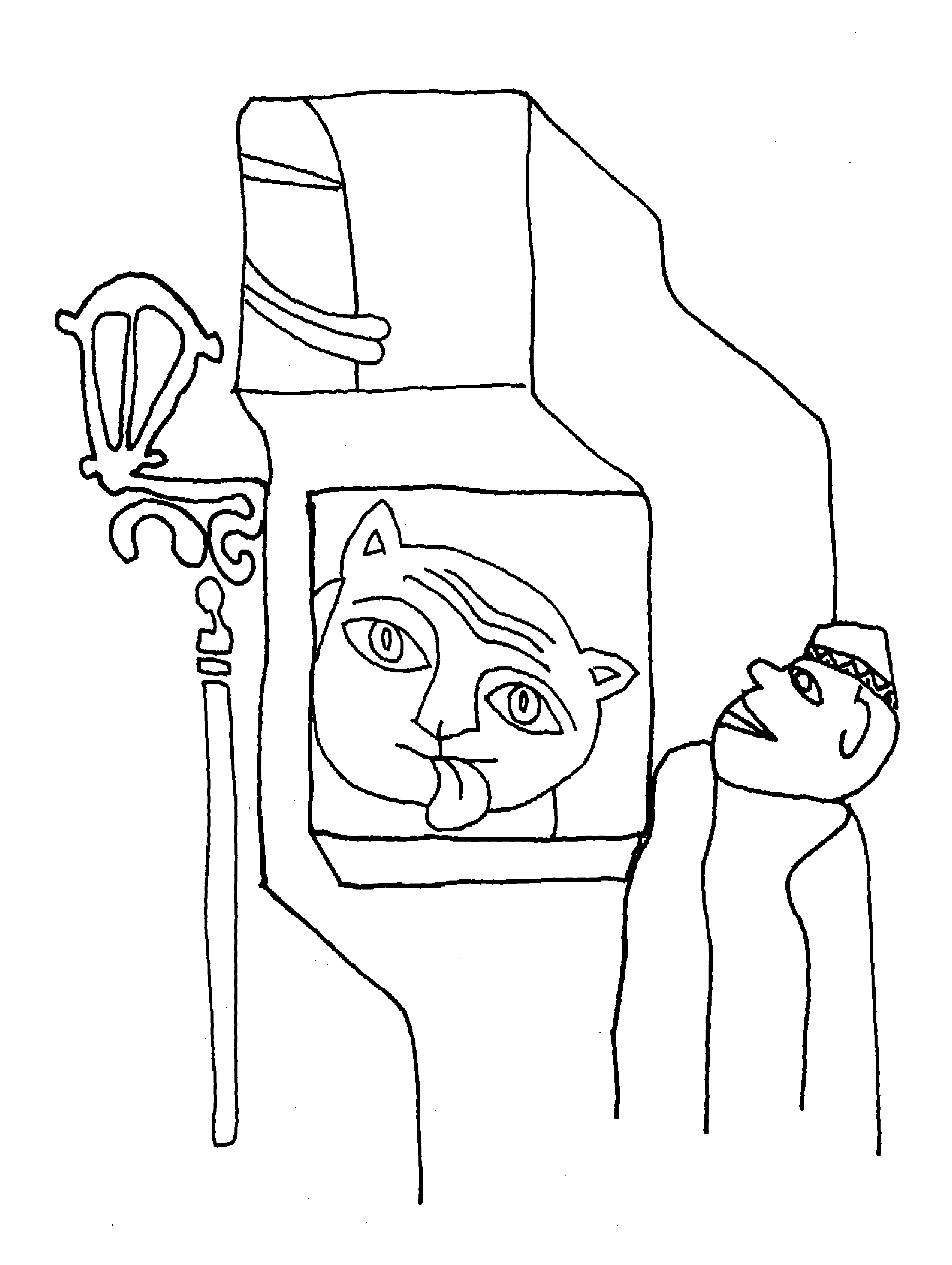
ويبدأ توم توماس، القط، عمله كعمدة.. وكما هدد بلنجز بإفشاء أسراره وهدد آخرين، ورضخوا له

وتركوه يصرف الأمور، ويصدر الأوامر، ويباشر مهام منصبه واختصاصاته كاملة.. وأسعد القط أن يكون له كل هذا النفوذ والسلطان، وحدثته نفسه بأن يرشح نفسه حاكمًا على الولاية، فأطلق قططه وراء كبار رجالها يكتبون عنهم التقارير، ويبعثون بها إليه.. ثم جاء موعد الانتخاب فراح يستدعى هؤلاء الرجال إليه ويهددهم، ويتوعدهم بالويل والثبور إن هم لم يؤيدوا ترشيحه..

... وفى أثناء واحد من هذه الاجتماعات الانتخابية جلس توم توماس إلى المكتب يتحدث، وكان الخدم قد استدعوا «سام» السباك لإصلاح بعض مواسير الماء، واضطر سام إلى أن يتسلق الجدران، وحدثته نفسه بأنه سيتمتع برؤية كبار

رجال الولاية يتحدثون إلى المرشح الجديد، وبينما كان يمر بالنافذة حانت منه التفاتة إلى المجتمعين، وكاد يصعق حين سمع القط يتكلم، ولولا أنهم جذبوه من النافذة سريعًا لهوى إلى الأرض وتحطم.. وطلب القط إلى الجميع أن يتركوا لهم السباك سام لحظات.. وحاول القط تهديده بالسكوت، ولكن السباك رفض، وبحث القط فى أرشيفه عن فضائح لهذا السباك وشاء سوء حظه أن يجد أن القط الموكل إلىّ أمر سام لم يجد له فضيحة واحدة.. كان كل سره أنه كان فقيرًا فقرًا مدقعًا.. وحاول القط أن ينفذ من هذه الثغرة فقال للسباك..

. ماذا تريد يا سام؟



- أريد أن يعلم الناس أن توم توماس العمدة.. والذى رشح نفسه حاكمًا للولاية ما هو إلا قط..

- ولماذا تريد أن يعرف الناس هذا؟

- يجب ألا يحكمهم قط..

- هل سكتك ٢٥ ألف دولار؟..

- لا..

- ٥٠ ألف؟..

- لا.. لابد أن أحملك معى إلى الخارج.. ليراك الناخبون..

جذب سام القط، وحمله إلى الخارج.. وقف بين الناس خطيبًا، وأعلن لهم أن المرشح الذى سينتخبونه ما هو إلا القط الذى يحمله، وضحك

الناس منه،وسخروا، ولكنه قال لهم إن هذا القط سيتكلم وسيعلن لهم ذلك بنفسه، وحاول السباك أن يجعل القط ينطق، ولكن هذا انطلق يموء بين ضحك الجماهير، واضطر السباك إلى أن يلوى ذيله، فصاح القط ألمًا، ثم تقدم إلى الميكروفون وقال للجموع أنه حقيقة المرشح الجديد، وإن كونه قطاً يجب ألا يحول بينهم وبين انتخابه لأنه سيعمل و.....

ودهش الناس لحظات، ثم أعلنوا سخطهم وثورتهم على القط، الذى اضطر لأن يقفز إلى الأرض، ويجرى هاربًا من تحت المنضدة، وعاد إلى بيته.. بيت جورج، الذى رآه حزيناً فسأله:

- ماذا يضايقك يا توم ولماذا تفكر هكذا؟..

ـ لقد فكرت طويلاً، وعرفت أن هناك فارقًا كبيرًا بين الحيوان والإنسان.. أنا قط كل همى أن أصل إلى ملأ معدتى، وإلى تحقيق أغراضى ولو أدى الأمر إلى افتراس حيوان مثلى هو الفأر.. ولكن الإنسان الذى وجدته فى «سام» شىء راق حقًا، انه كائن بشرى يؤمن بمثل، وله ضمير، وليس على استعداد لأن يضحى بمثله، أو يلغى ضميره، مهما بلغ الثمن.. كان كل سر «سام» السباك أنه فقير، ولكن فقره ما كان ليحول بينه وبين إطلاع الناخبين على حقيقتى.. هذا هو الإنسان، أما أنا فقد غفلت عن عملى الحقيقى، البيت امتلأ بالفيران...

وارتفع صوت مواء القط، فقال له جورج...

ـ لا لا.. أريد مواء صافيًا صادرًا مثلما كنت تفعل قبل أن تشتغل بالسياسة...

تمثال الحرية

جلس «مونجهان» على مقعد متحرك ذى عجلات، قرب نافذة تطل من المستشفى العسكرى على ثغر نيويورك.. ومرت لحظات قبل أن يزحف «أوجست» تجاهه، على مقعده المتحرك، ليتخذ مكانه إلى جواره.. وكان «مونجهان» يتطلع من النافذة فى صمت، دون ملل.. ومضت فترة طويلة، تحدث مونجهان على إثرها قائلاً...

... كثيرون يطبعون هذا المنظر على بطاقات البريد، ويبيعونها، فيربحون من ذلك أموالاً طائلة.. وأنا أحب أن أشاهد تمثال الحرية يقف هكذا شامخاً تجاه المحيط.. وهذا المنظر يذكرنى بأيام طفولتى فى بروكليه، ويثير فى الضحك، لأنه يربط فى ذهنى بجد عجوز لى، كان بخيلاً غاية البخل، مقتراً على نفسه كل التقتير.. يؤلمه أن يضطر لإنفاق سنت واحد، ويزعجه أن يضع يده فى جيبه ليخرج شيئاً من ماله، ويمرض إذا طالبه أحد بأن يتبرع لعمل من أعمال الخير.... وفى عام ١٨٨٧ كان جدى هذا يعيش فى بروكلين، فى شارع ينحدر تجاه النهر.. وجلس يوماً يقرأ فى صحيفة استعارها من أحد أصحابه، وقدم عليه جار له، وبعد أن حياه، قال الجار فى لهجة رقيقة مهذبة أن يريد أن يتحدث إليه بشأن الاكتتاب

العام لإقامة تمثال الحرية.. وصمت جدى بينما تابع الجار «جاك شيان» حديثه قائلاً أن فرنسيًا صمم تمثالاً رائعًا، لعله تكلف ملايين الدولارات، وإن كل ما عليهم أن يساهموا سويًا فى الاكتتاب لعمل قاعدة لهذا التمثال وإن جميع أهالى حى بروكلين قد دفعوا نصيبهم، ولم يبق إلا جدى.. ولكن هذا صرخ فيه أنه لن يلقى بماله هباء، من أجل تمثال لم يشهده بنفسه.. واضطر الجار إلى اصطحاب جدى إلى حيث احتفظ بالتمثال، ورآه جدى حقيقة ملموسة، واستطاع أن يضع يده عليه، ولكنه نظر إليه فى استهتار، لأنه رآه محطمًا، وحاول جاك شيان أن يفهمه أن نقل مثل هذا التمثال الضخم من فرنسا يحتم عليهم أن يفصلوا أجزاءه بعضها عن بعض، غير أن جدى الذكى ضحك وقال:

ـ إن الفرنسيين سخروا منكم أيها الأمريكيون، وأعطوكم تمثالاً مستعملاً «سكند هاند»..

واصر جدى على ألا يدفع شيئاً، وحاول جاك شيان أن يثير فيه النخوة، بأن قال انه سوف يدفع نيابة عنه نصيبه فى الاكتتاب، ولكن جدى لم يعبأ بذلك، بل بدت عليه علامات اللامبالاة وقال لجاره فى لهجة ضاحكة...

ـ ادفع عنى ما شئت.. أنا لن أدافع أبداً.. أن هذا التمثال، تمثال الحرية فارغ أجوف، كالطبل، ولن يبقى فى مكانه فترة طويلة.. إنه سينهار عند أول عاصفة.. ستقتلعه وتلقى به فى المحيط..

ـ يقول المهندسون أنه سيبقى مكانه إلى الأبد؟

ـ وماذا قال السياسيون؟..

. إنه سيرتفع عاليًا.. إلى ارتفاع عشرة أدوار، كأنه قصر كبير.. ليرمز إلى الحرية..

فكر فى التبرع..

قال جدى: لا لا.. قل لى.. ما هذا الذى تمسكه «الحرية» فى يدها؟ هذه اللوحة.. لا المشعل..

. لقد كتب عليها بالحروف الرومانية: ٤ يوليو ١٧٧٦..

. وما جدوى هذا؟.. إنهم يريدون تمثالاً يستقبل الزائرين فليكتبوا عليه: مرحبًا بالجميع.. ثم قل لى: ما قيمة هذا التمثال بالنسبة للمهاجرين؟.. إنهم ليسوا فى حاجة إلى تمثال، بل إلى مكان يستريحون فيه.. إننى حين قدمت من زمن بعيد استقبلنى على الشط رجل سألنى: هل تريد حجرة؟

قلت: نعم. قال اتبعنى... ودلنى على حجرة فى فندق، وبينما كنت أناقش صاحب الفندق فى أجر الغرفة كان الرجل قد ذهب بحقيبتى.. فهل يستطيع هذا التمثال أن يفعل هذا للقادمين؟.. وهل يؤديهم حين يصلون؟..

- اسمع يا عزيزى مونجهان.. أنت عار على شارعنا.. على حينا.. على مدينتنا.. سأدفع عنك قيمة التبرع.

- افعل ما شئت.. ولكن اعطنى أجر العودة من هنا إلى شارع بتلر..

- كفى أننى دفعت لك أجر القدوم لتشهد التمثال.. ولن يتكرر ذلك..

- عليك اللعنة.. انفق مالى فى المواصلات.. وفى

التبرع.. وفى.. وفى.. انت تريد إفلاسى.. عليك اللعنة..

سكت الشاب مونجهان، الجالس على المقعد المتحرك ذى العجلات.. واستحثه زميله ليواصل قصة جده العجوز والتمثال، فاستمر مونجهان فى حديثه ضاحكاً..

وترانى لذلك أضحك كلما تطلعت إلى تمثال الحرية، لأنه يذكرنى ببخل جدى، وتقتيره، ورفضه أن يرد العشرة سنتات إلى «جاك شيان».. المهم، كبرت بنات جدى، وتزوجن ومنهن أمى.. وعندما كبرت كنت أجد لذة كبيرة فى الجلوس إلى جدى حيث يجلس، وكان يحبنى وكنت أحبه، وأحب حديثه، وعندما بدأ يحدثنى عن تمثال الحرية كنت مازلت طفلاً، وقلت

له ذات يوم أننى سأذهب إلى الساحل، هناك حيث يتلقى النهر بالبحر، وحيث يقف التمثال.. فقثال: آه.. تمثال «جاك شيان».. إنه لابد أن يكون قد دمر.. وانهار.. واستقرت أجزاؤه فى قاع الخليج.. غداً أذهب معك لأرى بنفسى..

وفى اليوم التالى اصطحبنى جدى، وكنت أجرى وأقفز إلى جانبه حتى ألحق به، وقلت له..

- جدى.. هل إذا انهار التمثال يسترد كل واحد من بروكلين العشرة سنتات التى دفعها ؟

قال: انهم لن يستردوا أموالهم فحسب، بل إن جاك شيان، والمهندسين، وأصحاب المشروع سوف يزج بهم جميعاً فى السجن..

ومضينا نخطو، كى نصل إلى نهاية الشارع، وعنده

ننعطف لنشهد أن كان التمثال فى مكانه أم لا ..
وسرت واجف القلب، أعد الثوانى، إلى أن وصلت،
وانعطفت مع الطريق ثم صحت:

. جدى.. أن التمثال مازال فى مكانه..

قال جدى: ذلك أمر غريب.. لقد هبت بالأمس
ريح عاتية.. كيف لم تطح به؟.. أوه.. ربما كان
مربوطاً بالحبال والدوبار.. نعم.. لابد أنه كذلك..
والان أدركت لماذا أقاموه وسط الماء.. لكى لا يسقط
على عدد من الأبرياء فيقتلهم..

وفى تلك اللحظة بدأت الريح تهب رويداً رويداً، ثم
اشتدت حتى صارت صرصراً عاتية، وأمرنى جدى أن
ألقى نظرة أخيرة على التمثال لنسرع بمغادرة المكان..
وهكذا نشأت منذ طفولتى وأنا أؤمن بأن هذا التمثال

سيهوى مع أول عاصفة، وحاولت أن أقنع أصدقائى بذلك وكنا نقوم بلعبة طريفة اسمها لعبة التمثال، نوقف أحدنا على أطراف أصابعه فى الوسط، ونلتف حوله أربعة أو خمسة. ثم ننفخه بملأ أفواهنا، فيتمايل، ثم يسقط بين ضحكنا وصخبنا..

وكنا نلعب ذات صباح حين قدم طفل صديق اسمه جورج وقال لنا أنه سيذهب فى اليوم التالى لمشاهدة تمثال الحرية «وقد أشفقنا عليه، وطالبناه بأن يحفظ عليه حياته، وألا يذهب لمثل هذه المخاطرة، فقد تهب رياح تطيح بالتمثال فوق رأسه، ولكنه قال إن أباه أكد له أن التمثال ثابت فى مكانه، وإنه لو هبت عليه رياح الدنيا بأكملها ما استطاعت أن تقتلعه.. وأضاف:

. إن جدك يا مونجهان يشيع التمثال سيقع لأنه خجل من عدم مساهمته فى الاكتتاب لإقامة القاعدة..

قلت له: هذا ليس صحيحًا.. وقل لجدك أنه إذا مات، فعليه يقع اللوم، لأنه لم يستمع إلى تحذير جدى..

وكانت مفاجأة قاسية لى أن أطلب زملائى من «جورج» أن يرجو أباه أن يصطحبهم معه لمشاهدة تمثال الحرية، وحاولت أن أثنيهم عن عزمهم، ولكننى فشلت، فقلت لهم..

. اذهبوا وكل ما أتمناه أن تهب عليكم الرياح غداً...

وفى مساء هذا اليوم كنت عاكفاً على قراءة صحيفة الصباح، ودهش جدى للاهتمام الكبير الذى أبديه وأنا عاكف على القراءة، فسألنى عما أقرأ،

فقلت له: القشرة الجوية.. وهى تقول إن الجو غداً سيكون صحواً.. وأدهشته

إجابتى، فسألنى: لماذا أهتم بالقشرة الجوية، فقلت له فى صوت خجل، مضطرب...

. جدى.. ما رأيك لو أننا أخذنا غداً قارباً يسبح بنا فى النهر؟.. أريد به أن يتجه نحو المحيط..

قال جدى وقد لمس فى نبرات صوتى شيئاً جديداً: قل لى تماماً.. ماذا تبغى من هذا؟

قلت: إن.. إن زملائى جميعاً سيذهبون إلى شاطئ المحيط.. إلى حيث يقوم.

قال: أوه.. إذا أنت لا تصدقنى.. إن هذا التمثال...

قلت: لا لا.. إننى أصدقك.. ولكن..

. بل أنت لا تصدقنى، ولو كنت تؤمن بما أقول

لابتعدت جهد طاقتك عن تمثال الحرية هذا صيانة لحياتك..

. إنه لن يسقط يا جدى، وكل ما أفعله الآن هو أن أنتظر سقوطه، وزملائى وأصحابى جميعًا يذهبون لرؤيته وسيتحدثون عنه طويلاً.. ولست أريد أن أحرم من رؤيته، وقد حدثتهم أنا طويلاً عنه.. ولن يكلفنا ذلك الكثير من المال..

قال جدى: إننى شخصيًا راغب فى رؤيته، متطلع إلى مشاهدته. وسننتهزها فرصة غداً . ولكن إذا سألك أحد إلى أين تذهب مع جدك، لا تقل له.. وسوف نستقل القارب فى الصباح المبكر فإن «جاك شيان» لو علم بذلك فلن أستطيع أن أحيا مع هذا اللص بسلام، بقية العمر..

* * *

وفى الصباح تهادى بنا القارب على صفحة النهر، تجاه المحيط، حيث جزيرة ستاتن التى يقوم فيها التمثال وكان جدى يتحدث وأنا لاه عنه أرقب، وأستمتع بما حولى.. وكان من بين ما قاله..

. كم هم مجانين هؤلاء الناس.. ألوف القوارب تروح وتغدو، يومًا بعد يوم.. عشرات المئات من الناس يغدون إلى هذا المكان، سيل لا ينقطع.. ماذا يعجبهم فى هذا التمثال؟.. الصحف تتحدث عنه، وترسم صوره.. لقد بت أعتقد أنه إذا ذهب هذا التمثال فسوف تقوم الحرب صباح اليوم التالى بيننا وبين الدولة التى تأخذه؟.. مع أنه لا يزيد عن كونه كومة ضخمة من نحاس فرنسى.. تنبهت قليلاً لما يقوله جدى، وقلت له...

. إن أستاذنا فى المدرسة يقول إن هذا التمثال يرمز إلى أننا حصلنا على حريتنا..

قال جدى: إذا كنت قد حصلت على حريتك فلست فى حاجة إلى تمثال يذكرك بهذا.. وإذا لم تكن قد حصلت عليها فإن أى تمثال لا يمكن أن يمنحك إياها.. إن إسراف جنونى، وإنفاق لأموالنا فيما لا طائل منه.. ولكى اثبت لك حقيقة، وصدق، ما اقول سأسأل هذا الشخص الجالس هناك.. لترى أن الأمر كله عبث فى عبث...

وتقدم جدى نحو شخص جالس معنا فى القارب، وسأله..

. معذرة.. أنا غريب عن هذه البلاد، وأريد أن أسألك: لماذا أنت ذاهب لمشاهدة تمثال الحرية؟..

قال الشاب: إننى دائمًا أتمنى أن أخرج فى رحلة فى المحيط، وهذا قارب كبير، يستطيع أن يحقق لى أمنيتى على نطاق ضيق حين يتجول بى فى الخليج..

قال جدى موجهًا حديثه إلىّ:

. انظر يابنى.. إنه لا يهتم قط لتمثال الحرية.. إنها نزهة فى المحيط.. لنسأل هذا الشاب كذلك..

وخطى جدى نحو شاب آخر وسأله نفس السؤال، فأجاب...

. إننى يا سيدى لا أجد راحة فى بيتى منذ أربعة أيام.. أولادى يصرخون، وأمهم تولول، وحماتى تتشاجر، وجيرانى يعزفون على البيانو بصوت رهيب، وعند هذا التمثال أجد مكاناً فيه القليل من الهدوء الذى أسعى إليه...

وسأل جدى سيده: لماذا استقليت قارب (تمثال الحرية) وما الذى تريد أن تشاهديه فيه؟..

صاحت السيدة تطلب صاحب القارب، لتصرخ فيه أنها ليست ذاهبة لرؤية تمثال الحرية، ولكنها فى طريقها إلى جزيرة «ستاتن»...

تركها جدى، واتجه إلىّ وقال...

. ها أنت ترى أنه لا أحد يريد أن يرى تمثال الحرية، ولو أنهم استخدموا النقود لبناء بيت.. أو فندق فى الجزيرة لإيواء المهاجرين لكان ذلك أفضل.. وحتى لكى لا نسرق حقائبهم.. أنهم...

وفى تلك اللحظة ارتفع صوت فى القارب يقول:

. تمثال الحرية.. تمثال الحرية.. الزموا أماكنكم.. وعليكم أن تغادروا القارب فى خمس دقائق..

تطلعت، وجدى ناحية التمثال والقارب يتهادى تجاه الشط ليرسو.. وهمس جدى:

- إننى أشعر بأن الرياح ستهب..

وهبطنا وسرنا تجاه التمثال يقف شامخاً.. وراح جدى يحدثنى..

- هذه الأرقام، والتواريخ الرومانية.. الم يكن أجدر بهم أن يكتبوا بدلاً منها (مرحبًا بالجميع)..

... ونظر جدى إلى التمثال دون تقدير، وهبت الريح قليلاً.. فقال جدى..

- إن التمثال يهتز...

قلت: بل.. ويتحرك...

وجرينا هنا وهناك، نبغى الفرار قبل أن يسقط على رؤوسنا، ولكن شابًا اقترب منا فى هدوء وقال:

- لا تضطربا.. ولا تنزعجا.. لقد جئت إلى هنا ما يزيد على الأربعين مرة.. وفى كل مرة يهتز التمثال هكذا ولكنه لا يسقط.. استمتعا بالمنظر..

قال جدى: جئت هنا أربعين مرة؟.. أى شىء يثيرك إلى حد أن تتردد كل هذه المرات على هذا المكان؟

- إنه يهدئ أعصابى..

- إننى أعتقد أنه يثير الأعصاب.

- بل إن هذا التمثال يعنى شيئاً هاماً بالنسبة إلىّ.. كنت فى حرب الفلبين فى عام ١٨٩٨، وتركت شقيقى هناك قتيلاً.. واليوم عيد ميلاده.. وهذا التمثال هو البناء الحجرى الوحيد الذى اشترك أخى فى إقامته.. هل تفهمنى؟.. إننى أحس بالراحة

حين أنظر إليه، لأنه يمثل عقيدتنا.. إيماننا.. هل تدرك ما أرمى إليه؟..

قال جدى متهدج الصوت: لأنه يمثل.. عقيدتنا.. إيماننا؟.. أنا لم أفكر فى الأمر على هذه الصورة.. اسمع يابنى.. إن «جاك شيان» لم يحدثنى عن الأمر بهذه الطريقة، لو أنه قال لى هذا لدفعت العشرة سنتات فى بساطة.. لماذا لم يقل لى هذا؟.. تعال معى..

وجذبنى جدى وهو يبتعد عن الشاب معتذرًا، وسارع يصعد درجات سلم التمثال، وهو يتمتم...

. لماذا لم يقل لى؟ تعالى.. إلى هذه اللوحة.. لعلى أستطيع أن أقرأها حين أضع على عينى نظاراتى.. ماذا؟.. إنها قصيدة.. إنها تقول:

«الق على قاعدتى همومك ومتاعبك وما يثقل كاهلك..

وتعالوا إلىّ أيها الفقراء المتعبون المشردون..

يا من تريدون أن تتنسموا عبير الحرية..

وليجنح عن شطى هؤلاء الأشرار..

وابعثوا إلىّ بمن لا مأوى لهم، الذين أظلمت أمامهم الحياة..

فإننى أرفع أمامهم مشعلى هذا.. وأفتح لهم الأبواب».

وتهدج صوت جدى وهو يقرأ، ثم بكى، وقال...

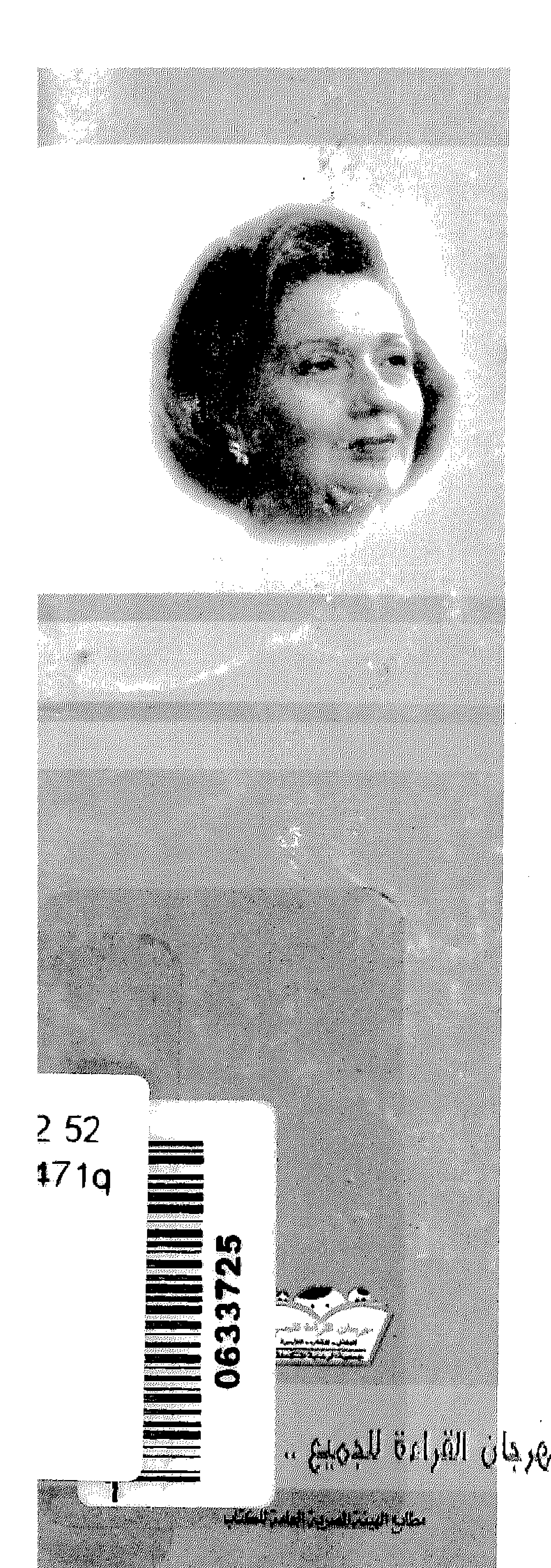
. أنه يرحب بالجميع.. دائمًا أبدًا.. لماذا لم يقل لى «شان» هذا.. كنت دفعت له ربع دولار.. ٢٥ سنتًا..

لا عشرة فقط.. خذ هذا أيها الصبى واشترى لنفسك ما تشاء.. واتركنى وحدى أعيد تلاوة ما قرأت..

وتركت جدى وجريت.. وعدت لأجده يتحسس الكلمات.. والدموع فى عينيه.. ورأيته يضع يده فى جيبه، ودون أن يلحظه أحد، أخرج قطعة من النقود ألصقها بقاعدة التمثال بين شقين فيها..

وواصل الشاب موجهان قصة جده والتمثال فقال:

- إننى أتطلع من النافذة، أشهد هذا المنظر الذى يذكرنى بأيام طفولتى فى بروكلين، وبجدى، وبالقصيدة.. التى ترحب بك، لا يعنيها من تكون، وأينما تكون، وفى كل وقت تشاء..



وفى عامها التاسع أصبحت مكتبة الأسرة واحدة من أهم ركائز التنمية الثقافية فى مصر والتى هى أساس أى تنمية اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية فالثقافة هى البنية التحتية لأى مشروعات تنموية لأنها تعمل على بناء المجتمع وترسيخ قيمه وتراثه الثقافى حماية من تداخل الثقافات الأخرى وقد استطاعت مكتبة الأسرة بما تصدره من كتب قيمة بأسعار فى متناول الجميع وأن تصبح جزءاً هاماً من اهتمامهم العام.

ومنذ العام ٢٠٠٠ دخلت مكتبة الأسرة مرحلة النشر الثقيل. بنشر الموسوعات بعد أن أشرق نور المعرفة فى كل بيت مصرى تقريباً بحوالى أكثر من ٤٠ مليون نسخة كتاب صدرت على مدى الأعوام الماضية. بحيث أصبح نشر الموسوعات ضرورة لاكتمال المنظومة التى أصبحت تمثل قاعدة أساسية للتنمية الشاملة فى مصر لا يمكن الاستغناء عنها فى خضم عصر المعرفة والمعلوماتية. وهى العلامة الفارقة بين الأمم النامية والمتحضرة.

سوزان مبارك

مهرجان القراءة للجميع .. مكتبة الأسرة ٢٠٠٢ مهرجان القراءة للجميع ..

١٠٠ قرشا